الدرس: 86

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: الأحد 26 شوال المكرم 1445 ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى الروايات التى قد يتمسک بها على الغاء حجية ظهورات الكتاب الكريم، فقسمناها الى ثلاث طوائف:

الطائفة الاولى: ما دلت على النهى عن تفسير القرآن بالرأى.

الطائفة الثانية: ما دلت على النهى عن مطلق تفسير القرآن.

فتكلمنا عن هاتين الطائفتين و أجبنا عنهما و وصلنا الى الطائفة الثالثة.

الطائفة الثالثة: ما دلت على اختصاص فهم القرآن الكريم بأهل البيت عليهم السلام. و قرأنا تلك الروايات.

و الجواب عن هذه الروايات:

اما بالنسبة الى مرسلة معلى بن خنيس التى تقول: إنما القرآن امثال لقوم يعلمون دون غيرهم و لقوم يتلونه حق تلاوته و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه و اما غيرهم فما اشد اشكاله عليهم و ابعده من مذاهب قلوبهم و لذلک قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنه ليس شىء ابعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن و فى ذلک تحير الخلائق اجمعون الا من شاء الله، و إنما اراد الله بتعميته فى ذلک أن ينتهوا الى بابه و صراطه و أن يعبدوه و ينتهوا فى قوله الى طاعة القوام بكتابه و الناطقين عن أمره و أن يستنبطوا ما احتاجوا اليه من ذلک عنهم لا عن انفسهم.

هذه الرواية مضافا الى ارسالها و ضعفها سندا يمكن حملها ولو بقرينة الروايات التى تأمر بعرض الروايات على القرآن الكريم يمكن حملها على أنه لات يمكن معرفة القرآن بكامله الا من طريق اهل البيت عليهم

السلام. فمن يدعى معرفة القرآن كله من دون الرجوع الى اهل البيت عليهم السلام فهو كذاب.

و هذا لا يعنى أنه لا يمكن فهم معانى القرآن إذا كانت الآيات ظاهرة فى معنى بعد ملاحظة القرائن المتصلة و المنفصلة.

و اما صحيحة منصور بن حازم التى كانت تقول: قلت لأبى عبدالله عليه السلام عرفت أن القرآن لا يكون حجة الا بقيم... فلم أجد أحدا يقال عنه: إنّه يعرف القرآن كلّه إلّا عليّا صلوات اللّه عليه، فأشهد أنّ عليّا عليه السّلام كان قيّم القرآن و كانت طاعته مفترضة و كان الحجّة على الناس بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أنّ ما قال في القرآن فهو حقّ. فقال عليه السلام رحمك اللّه.

هذه الرواية الصحيحة تدل على أن القرآن لا يكون حجة الا بامام و قيّم، يعنى لا يمكن الاستغناء بالقرآن عن اهل البيت عليهم السلام. فإن من اكتفى بالقرآن وقال حسبنا كتاب الله فيقع فى ضلالة، لأن كل فرقة يمكن أن يستدل بآية قرآنية. و لكن هذا لايعنى أنه لا يكون القرآن حجة فى ظهوراته بعد ملاحظة القرائن المتصلة بالقرآن أو القرائن الواردة فى كلمات اهل البيت عليهم السلام. نعم! توجد فى القرآن آيات متشابهة و

كل فرقة تستدل بآية متشابهة لصالح مذهبها. و الفرق الباطلة يستدلون ببعض الآيات القرآنية. فترى أن المجسمة يستدلون بما ورد فى القرآن الكريم بقوله: وجاء ربک، أو قوله: ان الله سميع بصر، أو قوله: الرحمن على العرش استوى، أو قوله: وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة، و غير ذلک من الآيات المتشابهات فى حد ذاتها. فلابد فى رفع الخلاف بين الفرق من الرجوع الى الامام عليه السلام. فى حين أن الظهورات القرآنية بعد ملاحظة القرائن حجة، و لكن لرفع الخلاف بالنسبة الى الآيات المتشابهات لابد من تحكيم قول الامام عليه السلام.

و إن شئت قلت: الحجة هى القرآن و العترة معا. لا نعنى أن ظهور القرآن ليس حجة فى حد ذاته. لا، لابد من الجمع بين ظهورات القرآن الكريم و كلمات العترة الطاهرة، فلو انفک أحدهما عن الآخر رأسا فقد مشروعيته و حجيته. و هذا يعنى أنه لا يصح الاستقلال فى فهم القرآن من دون مراجعة الى المخصصات و القرائن الواردة فى كلمات الائمة عليهم السلام.

و إن أبيت عما ذكرنا، فلااقل من أنه مقتضى الجمع العرفى بين هذه الصحيحة و بين ما دل على عرض الروايات الورادة عن اهل البيت

عليهم السلام على الكتاب، فما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه.

و اما رواية مسعدة بن صدقة التى كانت تقول: حين ما احتج بعض الصوفية على الامام الصادق عليه السلام بآيات من القرآن فيها بيان الايثار و الزهد، قال عليه السلام لهم: أ لكم علم بناسخ القرآن و منسوخه و محكمه و متشابهه الذى فى مثله ضل من ضل و هلک من هلک من هذه الامة؟ قالوا أوبعضه (يعنى نعرف بعض القرآن) و أما كله فلا. فقال لهم: فمن هنا أُتيتم. يعنى من هنا وقعتم فى المشكلة. ما تعرفون القرآن كله فيكف تفسرون القرآن؟ غير تفهمون القرآن ثم تفسرونه؟

و هكذا رواية محمد بن سنان عن زيد الشحام، قال دخل قتادة على أبى جعفر عليه السلام فقال له ابوجعفر عليه السلام: بلغنى أنک تفسر القرآن؟ قال نعم، قال له ويحک يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.

نقول: هذه الروايات مع غمض العين عن سندها، الظاهر منها و إن كان اختصاص فهم القرآن بالأئمة عليهم السلام، نحن لا ننكر ذلک، ظاهر

هذه الروايات أن فهم القرآن يختص بالائمة عليهم السلام، لكن مقتضى الجمع العرفى بين هذه الروايات و بين روايات عرض الاحاديث على القرآن الكريم و أن ما وافق كتاب الله فيؤخذ به و ما خالف كتاب الله فيترک، أن نحمل هذه الروايات على اختصاص معرفة القرآن كله بالائمة عليهم السلام، بما فيه محكمات القرآن و متشابهاته و ناسخه و منسوخه.

بل توجد قرينة حالية متصلة على الحمل على ذلک. و هذه القرينة المتصلة هى وجود ارتكاز المتشرعى على أن القرآن بيان للناس. فإذا كان القرآن بيانا للناس و قال تعالى "أفلا يتدبرئن القرآن أن على قلوب اقفالها"، فهل يصح بعد ذلک أن ندعى أن الناس محرومين من فهم القرآن؟ نعم كل آيات القرآن إذا يريدون أن يفهمونها فيصعب ذلک بل لا يتيسر الا بعد الرجوع الى اهل البيت عليهم السلام، و أما أن الناس لا يفهمون من القرآن شيئا فهذا خلاف ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى "هذا بيان للناس"، أو "إنما يسرناه بلسانک"، أو قوله تعالى "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"، إذا الناس لا يفهمون معنى القرآن كيف يقول الله سبحانه و تعالى لهم و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا؟ هل الناس ما يقولون

نحن لا نفهم شيئا من القرآن كيف تستشهد بأننا لم نجد فيه اختلافا كثيرا؟

و هكذا بالنسبة الى رواية اميرالمؤمنين عليه السلام حيث ورد فيها: إن علم القرآن ليس يعلم ما هو الا من ذاق طعمه فاطلبوا ذلک من عند اهله.

مع غمض العين عن سندها، نقول: يجرى فيها ما قلناه بالنسبة الى الروايات السابقة.

و يؤيد ما ذكرناه من أنه لا يستفاد من هذه الروايات أنه ليس ظهور القرآن حجة أو أن الآيات القرآنية ليست مفهومة لعامة البشر، مما يؤكد ذلک: أنه لو كان المقصود بها بيان أن القرآن كتاب معقّد أو كتاب لا يكون ظهوره حجة على الناس لاشتهر و بان بين الشيعة و لم يصل الدور الى جماعة من الاخباريين ينكرون حجية ظهورات الكتاب الكريم.

و لا بأس هنا أن انقل كلاما من البحوث. هو ذكر: أن كثيرا من هذه الروايات الرادعة عن حجية ظهور القرآن الكريم رويت من طريق اصحاب الاتجاه الباطنى كسعد بن طريف و جابر بن يزيد الجعفى، و لم يروها فقهاء اصحاب الائمة عليهم السلام الذين كانوا حملة فقههم و تراثهم

كزرارة و محمد بن مسلم و اضرابهم، فإذا كان هناک شیء یعنی إذا كان الامام علیه السلام یرید أن یردع الناس عن العمل بظهورات القرآن الكريم فی المجالات الفقهية أ لم يكن يناسب أن يقول ذلک لفقهاء اصحابه لا لجماعة منتمين الى الاتجاه الباطنی؟

هذا الكلام من البحوث ليس صحيحا. اولا: فی ضمن هذه الروايات صحيحة منصور بن حازم، منصور ليس من اصحاب الاتجاه الباطنی، بل هو الذی قال عنه النجاشی: ثقة عين صدوق من جملة اصحابنا و فقهائنا. فلماذا فی البحوث قصر نظره الى رواية سعد بن طريف أو رواية جابر و ناقش فيهما بأنهما من اصحاب الاتجاه الباطنی و جعل ذلک قرينة على كون هذه الرواية مزوّرة على الائمة عليهم السلام. لا توجد فی ضمن هذه الروايات، روايات يكون راويها فقهاء اصحاب الائمة عليهم السلام كمنصور بن حازم. هذا اولا.

و ثانيا: ما هو ذنب سعد بن طريف؟ الا أن النجاشی قال عنه: حديثه يعرف و ينكر. يعنی فی احاديثه اشياء لا نفهمها. و نقل عن ابن الغضائری أنه ضعيف. لم يقل أحد أنه كان غاليا.

يقول فی البحوث: روی سعد بن طریف: أن الصلاة علیّ و الفحشاء فلان و المنکر فلان.

نقول: شنو مشکلة هذه الروایات؟! بیان بطون القرآن. إذا شخص یقول الصلاة علیّ و اقیموا الصلاة یعنی اقیموا ولایة علیّ علیه السلام و نحن ما نصلی، مثل العلویین، الطوائف المنتمین الی العلویین و النصیراویین، أقیموا الصلاة یعنی اقیموا ولایة علیّ و بعد نحن لا نصلی، تکفینا صلاة علیّ. أو أن الفحشاء فلان وفلان، إجتنبوا الفحشاء و المنکر یعنی إجتنبوا فلانا و فلانا، لا أنه یجب الاجتناب عن الاعمال الشنیعة. إذا کان هکذا نعم صحیح، هذا تحریف للقرآن الکریم. لکن هل تحتملون أن الروایة التی تقول الفحشاء فلان و المنکر فلان و تفسّر القرآن بباطنه، هل تعنی هذه الروایة أن الامر بالاجتناب عن الفحشاء لیس امرا بالاجتناب عن الاعمال الشنیعة و إنما هو أمر بالاجتناب عن فلان و فلان؟

کم عندنا روایة تفسّر بطون القرآن، فإن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطن الی سبعة ابطن.

فهذا الكلام من البحوث ليس صحيحا و نسبة هذه الروايات الى اصحاب الاتجاه الباطنى و رميها بأنها مزوة، هذا ليس فى محله.

و بقية الكلام فى الليلة القادمة إن شاءالله.

والحمد لله رب العالمين.